

أضواء البيان

@ 85 @ قوله تعالى : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتغْفِرَنَّ لَكَ } . الأسوة كالقدوة ، وهي اتباع الغير على الحالة التي يكون عليها حسنة أو قبيحة ، ولذا قال تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } وهنا أيضاً : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ } . . .

وقد بين تعالى هذا التأسى المطلوب ، وذلك بقوله : { إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ } . . . فالتأسى هنا في ثلاثة أمور . أولاً : التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله ثانياً : الكفر بهم . . .

ثالثاً : إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبداً إلى الغاية المذكورة حتى يؤمنوا بالله وحده ، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم ، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبداً ، والسبب في ذلك هو الكفر ، فإذا آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم . . .

وهنا سؤال ، هو موضع الأسوة إبراهيم والذين معه بدليل العطف بينهما . . . وقوله تعالى : { فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ } فقائل القول لقومهم إبراهيم والذين مع إبراهيم ، وهذا محل التأسى بهم فيما قالوه لقومهم . . .

وقوله تعالى : { إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتغْفِرَنَّ لَكَ } فهذا القول من إبراهيم ليس موضع التأسى ، وموضع التأسى المطلوب في إبراهيم عليه السلام هو ما قاله مع قومه المتقدم جملة ، وما فصله تعالى في موضع آخر في قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَإِلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مِمَّا رَبِّي قَالَ سَتُبَدَأُ بِرَأْسِ رَبِّكُمْ فَاعْبُدُونِ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتغْفِرَنَّ لَكَ } وهذا التبرؤ جعله باقياً في عقبه ، كما قال تعالى : { وَجَعَلْنَاهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ } . . .

وقوله تعالى : { إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتغْفِرَنَّ لَكَ } . لم

